كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية
المحاضرة السابعة لمادة علوم القرآن
المرحلة الاولى

تطور شكل المصحف

ما هو الفرق بين تطور المصحف وتطور شكل المصحف؟

ج/ إن المصحف لا يتطور وهو على ما هو عليه منذ أن نزل على النبي ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) سورة الحجر: 9

أمّا التطور فهو في شكل المصحف أو في ضبطه.

أن المصحف الذي بين أيدينا نلحظ فيه أسماء السور والمكي والمدني والإعجام (النقاط) و التشكيل (الحركات) والفواصل وعدد الآيات وقواعد التلاوة وغير ذلك.

أمّا المصحف الذي كان في زمن النبي ﷺ والصابة فكان مجردٌ عن ذلك تماماً إلا من رسم الحروف (أي جسم الحرف) وحينما دعت الحاجة إلى التشكيل (الحركات) أشار بعض الصحابة إلى ذلك.

فقد ذُكر أن الامام علي (رضي الله عنه) قال لأبي الأسود الدؤلي: بأن يضع علامات التشكيل عندما دعت الحاجة إلى ذلك وذكر أ، الحجاج نبه إلى ذلك حينما شاع اللحن (أي الخطأ في قواعد التلاوة)

وكره بعض العلماء جعل ذلك في المصحف مثل:

ابراهيم النخعي (ت 96 هـ) والحسن البصري (110 هـ) ومحمد بن سيرين (110 هـ) وقالوا: جردوا القرآن ولكن حينما دعت الحاجة دون العلماء ما يحتاجون إليه.

ولتطور شكل المصحف مراحل عديدة

1- قال أبو الأسود الدؤلي (69 هـ) لتلميذه: خذ مصحفاً فإذا فتحت فمي (وفي رواية شفتي) فضع نقطة فوق الحرف وإذا كسرتها فضع نقطة تحت الحرف، فإذا ضممتها فضع نقطتين بين يدي الحرف بلونٍ يختلف عن لون المصحف، حتى جاء عليه كلَّه (المصحف). وكانت النقاط على شكل دوائر صغيرة.

2- قام تلاميذ أبي الأسود الدؤلي وهما: نصر بن عاصم الليثي (90 هـ) ويحيى بن يعمر (قبل 90 هـ) بوضع علامات الاعجام (النقاط) افراداً وتثنية وبلونٍ يشبه لون المصحف وكانت على شكل دائرة صغيرة تشبه لون المصحف ويقول الداني أنها كانت على شكل شارحة صغيرة مثل ج خ ش.

3- مع مضي السنين اختلط مداد الإعجام بمداد التشكيل فحلَّ ذلك الإشكال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) فوضع الفتحة على شكل الف مائلة ووضع الكسرة على شكل ياء مردودة ووضع الضمة والشدة والهمزة ووضع أيضاً علامات الروم والإشمام.

الروم: لو تعاريف كثيرة منها: هو ارادة حركة تُسمع و لا تُرى ولا يسمَعُها البعيد مثل (الحمد لله رب العالمينَ، الرحمن الرحيمِ).

الإشمام: هو اطباق الشفتين إطباقاً غير تامٍ و لا يراهُ الأعمى مثل (إياك نعبُدُ).

4- وضعوا الفواصل وكانت في أول أمرها على شكل نقاط ثلاثية .:ثم وضعوها في دائرة ثم وضعوا في الدائرة ارقاماً.
5- ثمّ وضعوا أسماء السور والمكي والمدني.
6- وضعوا علامات للأجزاء ووضعوا علامات للأحزاب ووضعوا الأعشار والأخماس.
7- وضعوا قواعد التلاوة كالتفخيم والترقيق وغيرهما.

والمصحف من حيث الشكل على نوعين:

أ- **المصحف المشرقي:** وهو الموجود في بلاد الشرق وفيه العلامات التي وضعها الخليل ومن جاء بعده وهو الموجود بين أيدينا.

ب- **المصحف المغربي:** وفيه الاعجام والتشكيل على شكل نقاط والفواصل على شكل نقاط ثلاثية وهو الموجود في بلاد المغرب العربي.

وكلاهما لا يؤثر على جوهر المصحف.

و أوّل طبعة كانت للقرآن الكريم في المانيا في مدينة هامبورك في سنة (1496م) ثم طبع في الهند ثم طبعته الدولة العثمانية ثم المصرية ثم توالت الطبعات.

وقد بلغت عناية العلماء بالمصحف أنهم درسوه من كل الجوانب فعدد سوره (114 سورة) وعدد آياته (6636آية) وعدد كلماته (79000) وعدد الحروف (323670 حرف).

نصف القرآن كلمة وليتلطف حرف الفاء.

وهناك كتب متخصصة مثل:

كتاب المُحكم لأبي عمرو بن سعيد الدّاني.

وكتاب المقنع في رسم الأمصار للدّاني أيضاً.

الملاحظات

1- الخطاطون الذين كتبوا المصاحف اعتمدوا على كتب رسم المصحف مثل المقنع في رسم المصاحف والمحكم للداني وغيرهما.
2- هؤلاء العلماء أخذوا ذلك عن المصاحف العثمانية التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها.
3- وهؤلاء أخذوا عن المصاحف التي جمعت في زمن الصديق رضي الله عنه تسمى المصاحف الصديقية أو البكرية.

هذه المصاحف اعتمدت على المصاحف التي كتبت بين يدي النبي ﷺ.

قراءة القرآن الكريم/ أصل القراءات

ان قراءة القرآن الكريم، من حيث هي أصوات منطوقة، تعتبر نوعاً من النشاط اللغوي الذي تنطبق عليه القوانين اللغوية، والقرآن منزل باللغة العربية، كما هو معروف، وقد نصت آيات كثيرة في القرآن على ذلك. لكن اللغة العربية كانت و لا تزال تتميز على ألسنة كل مجموعة من العرب بميزات في النطق والكلمات، مما جعل الدارسين يسمون نطق كل مجموعة لهجة، فكانت اللغة العربية وقت نزول القرآن تتألف من لهجات تتباين في بعض الظواهر النطقية، وتتفق فيما وراء ذلك من جوانب اللغة. والعرب متباينون لأسباب عدة منها:

1- أسباب جغرافية بحثاً عن الماء والكلأ.
2- أسباب نفسية كالاعتزاز بالقبيلة والعشيرة.
3- قلّة أو ضعف وسائل التعليم/ مثل ما كان يُعرف (بسوق عكاظ) و موسم التجارة.
4- وسائل النقل كانت على الابل والخيول وغيرهما.
5- كثرة الحروب والمنازعات. وهذه أدت إلى تباين اللغات. وغيرها من الاسباب... وهذا التباين لا يمنع من الاقتراب اللغوي.

يقول أبو القاسم ثابت السرقسطي (ت 302 هـ) إن الله بعث نبيه والعرب متباينون في المقام والحال، ولكل عمارة (اصغر من القبيلة، وقيل هي الحي العظيم) لغة دلت بها ألسنتهم، وفحوى جرت عليها عادتهم...). والله عز وجل حينما أنزل القرآن أنزله بلغة قريش والنبي ﷺ من قريش، فالقرآن نزل بلغة مكة و ما جاورها وأدلة ذلك كثيرة منها:

1- قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...) سورة أبراهيم" 4.
2- جاء في سنن أبي داؤد و الترمذي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عبدالله بن مسعود في الكوفة: أن أقرئ الناس بلغة قريش فإن القرآن بها نزل.
3- جاء في صحيح البخاري عن عثمان رضي الله عنه قال: للذين استنسخوا القرآن: إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإن القرآن بها نزل.

والنبي ﷺ قد بعث إلى الناس كافة قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) سورة سبأ: 28.

ومما يشكل على العرب أن يقرأوا القرآن بلغة قريش.

يقول ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) وهو عبدالله بن مسلم بن قتيبة (276هـ) ولو أن كل فريق أُمِرَ أن يزول عن لغته و لغة أسياده (أجداده) طفلاً أو ناشئاً أو كهلاً لصعب ذلك عليهم و لا ما استطاعوا إلا بعد جهد كبير فكان من رحمة الله أن أمر الله نبيه ﷺ أن يقرئهم بالنطق الذي يستطيعون تحقيقه توسعة في اللغة وتصرفاً في الكلام وقد جاءت نصوص تدل على ذلك: منها ما ورد في الكتب الستة أن النبي ﷺ قال: إن هذا القرآن أُنزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه.

وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: إني بعثت إلى أُمة أميين منهم العجوز والشيخ والأمة والجارية (الأمة: العبدة، الجارية: الطفلة الصغيرة)والرجل الذي لم يقرأ قط.

وفي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في الصلاة يقول عمر رضي الله عنه بحروف بلغة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أسوره حتى سلم فتلبدته بثيابه، فقلت: من أقراءك هذا؟ قال رسول الله ﷺ قلت : كذبت، فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها بغير ما قرأت، قال: فَقُدتُهُ إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: إن هذا قد قرأ سورة الفرقان بغير ما أقرأتنيها، فقال النبي ﷺ : ارسله يا عمر ثم قال النبي ﷺ اقرأ يا هشام فقرأ، فقال النبي ﷺ هكذا نزلت، وقال النبي ﷺ اقرأ يا عمر فلما فرغ قال النبي ﷺ وهكذا نزلت، ثم قال النبي ﷺ إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه.

وقد وردت قصص مشابهة لقصة عمر وهشام والنبي ﷺ كان يقرهم على قراءتهم وكان ﷺ يعلم أصحابه القرآن ويسمع منهم ويجيزهم بأمر من الله تعالى بالنطق الذي يستطيعون تحقيقه توسعةً من الله ورحمة

و الاختلاف كان بالألفاظ وليس بالحلال والحرام.

أ.م. د. قاسم فتحي سليمان